

# مازلنا في عصر الدولة المتسلطة والربيع العربي لم يحرك أي ساكن

جابر عصفور: عصر الرواية سيبقى ما بقيت الرغبة الجماعية في معرفة ما يجري



لم نعد نعرف الوطن الحقيقي من الوطن المجازي

وأعتقد أن هناك كتبا عديدة للسلفيين في مصر منشورة تمثل خطرا كبيرا على الأمن القومي، وللأسف الشديد تباع أمام المساجد كل يوم وفي معرض الكتاب المصري ذاته.

ومن الضروري فصل الدين عن الدولة. وهذا هو المحك. إننا نحتاج لجانا من المثقفين والعلماء المستنيرين مثل سعد الدين الهلالي للبحث في هذه القضية. وفي اعتقادي أن الأزهر أصبح سلطة دينية وللأسف نحن الذين مكننا من ذلك، ويجب أن نلغي سلطته الدينية ونعيد كسلطة تعليمية فقط. وشيخ الأزهر ليس بابا روما. وحتى بابا روما أصبحت سلطته محدودة جدا ولم يعد بإمكانه مثلما كان في الماضي خلق حاكم لأن المجتمعات الأوروبية فصلت فصلا كاملا بين الدين والدولة وحتى الأحزاب التي أخذت أسماء دينية في إيطاليا هي أحزاب تفصل بين الدولة والدين تماما. ولولا ذلك ما كان سيكون لها حضور. باختصار نحن نستطيع أن نحقق ذلك ولكن بإرادة سياسية.

## عصر الرواية

● **الجديد:** أنت صاحب العبارة الشهيرة "إنه عصر الرواية" وصدر لك كتاب بنفس العنوان قبل الألفية بقليل، وصار كل من يكتب الآن يُجرب في مسار الرواية وأتمم سوق النشر بروايات بعضها صالح وكثير منها طالع. إلى أي مدى يُمكن ترشيد موضة الكتابة الروائية؟ وإلى أي مدى يستمر عصر الرواية؟

● **جابر عصفور:** أصدرت كتاب "زمن الرواية" وبعد ذلك ازدهرت الرواية وأنا لم أكن ادعو إلى أمر وإنما أسجل وأقرأ. كان الدافع لي في هذا الكتاب تجربة بسيطة جدا فقد كنت أتعامل مع ناشر صديق وسألته على ديوان شعر لشاعر مرموق وقال لي إن هذا الكتاب لم يبع خلال عامين سوى ستين نسخة، وسألته عن الروايات فبذت أرقام المبيعات عالية. وهنا فكرت ودخلت في دراسات لقراءة تغيير أنماط الآداب في العالم العربي، ووجدت أن القصيدة تتحدث عن آراء قاطعة، أما الرواية فهي المعنية بالتفاصيل أكثر والناس في فترات الأزمات تبحث عن التفاصيل. من هنا قلت إنه عصر الرواية.

وأعتقد أن عصر الرواية سوف يبقى ما بقيت هناك رغبة في معرفة أسباب ما يجري.

● **ينشر الحوار بالاتفاق مع الشهرية الثقافية اللندنية «الجديد» والنص كاملا على الموقع الإلكتروني**

● **الجديد:** هل تعتبر أن طبيعة انتفاضات الربيع العربي جلبت على نفسها الثورة المضادة، لكونها من البداية لم تتمكن من بلورة نفسها. والأمثلة واضحة وكثيرة وربما تراها في سوريا، الدولة التسلطية التي مازالت قائمة، وحتى في قطر فإن هناك حاكما واحدا يتحكم في شعب كامل ويضع سياسات قد لا تتوافق معهم. وفي باقي الاقطار لم تتحسن الأوضاع بعد الثورات.

● **جابر عصفور:** من المبكر جدا الحكم على ثورات الربيع العربي الآن. لقد اختلط الحابل بالنابل، فلم نعد نعرف الوطن الحقيقي من الوطن المجازي، لأن هناك جهات أجنبية دربت شعبانا في مجموعة من البلدان على إحداث ثورات. لماذا؟ لا نعرف. هذا الأمر ثابت ومعلن، واعتقد أنه يحتاج لبحث ودراسة متأنية وستظهر الكثير من الحقائق حتما مع الوقت.

## دور النقد

● **الجديد:** كيف تطور منهجك من المذهبية التقديرة بمعناها الضيق الصارم إلى مدارات "النقد الثقافي" الرحبة حيث الوصل التقاطعي بين عمل الناقد وثقافة مجتمعه التي تتولد منها ومن مواجعتها الأعمال الإبداعية الأصلية والجزرية؟

● **جابر عصفور:** النقد عند الناقد ليس دوغما. ليس مقولة ثابتة تتحكم فيها مجموعة من القواعد الجامدة، إنما النقد حركة تتناسب مع حركة الواقع. وعلى الناقد أن يغير من بعض أدواته حتى يستجيب أكثر لحركة الواقع، وأنا أرى أهم شيء في الواقع الثقافي الإبداعي العربي هي المعطيات التالية: أولا أننا نعيش في ظل دولة تسلطية، وثانيا أننا نعيش تحت تهديد ما يسمى بالإرهاب الديني الذي يتحالف أحيانا مع الدول التسلطية، وثالثا أن لدينا حركة استثمار ضعيفة، ورابعا أن العالم العربي يتراجع اجتماعيا وثقافيا. وخامسا أن المؤامرات على العالم العربي من العالم الغربي تزداد عنفا وهذه المعطيات جميعا تجعل الناقد ينزل من برجه العاجي ويندمج مع مجتمعه، وهذا ما دفعني للانتقال إلى النقد بمعناه الأوسع الواقعي.

## تحديد سلطة الأزهر

● **الجديد:** هل تعتقد أن هناك كتابا تجب مصادرتة تحت لافتة "حماية الأمن العام" وهل أنت مع منع الكتب لاعتبارات ما؟ في هذا السياق هل أنت مثلا مع منع كتب سيد قطب في مصر باعتبارها مُعرضة على الإرهاب وتكفير المجتمع؟

● **جابر عصفور:** أي كتاب يجب أن ينشر إلا إذا كان خطرا على الأمن القومي.

● **الجديد:** ضاقت بك مساحة الحرية خلال سبعينيات القرن الماضي فسافرت مرتحلا وكتب عنك الشاعر الراحل أمل دنقل قصيدته الشهيرة "الطيور". ألا ترى أن مساحة الحرية ضاقت كثيرا عما كانت عليه، والقيود لم تعد قيود أنظمة الحكم فقط، بل امتدت للمؤسسات الدينية البارزة في المجتمعات العربية؟

● **جابر عصفور:** بالطبع الموقف تغير كثيرا بعد تنامي الجماعات الإرهابية وشيوع التكفير وكان هذا التغيير للأسوأ. وهناك مؤسسات دينية مهيمنة على الفكر والثقافة تمارس السلوك ذاته الخاص بجماعات الإرهاب. المشهد مزيج برمتة واعتقد أن جرأة الكاتب العربي تطورت بشكل كبير وفاقت استبدادية الحاكم، وهناك كتابات جديدة جريئة جدا نجحت في قول أمور كان من الصعب قولها في الماضي. وأنا، على سبيل المثال، ذهبت لمشاهدة فيلم "الضيف" للكاتب إبراهيم عيسى، وأعجبتني جرأة الحوار وقوته، وسألت من الذي سمح للفيلم أن يخرج إلى النور، وعرفت أن الفيلم ظل محتجزا في الرقابة نحو ثمانية أشهر ولم يسمح له بالخروج إلى النور إلا عندما وصل الأمر إلى الرئيس عبدالفتاح السيسي نفسه وسمح بعرض الفيلم. وهذا يعني أن هناك خلافا في المنظومة المعنية بالثقافة، لأنه لا ينبغي لمؤسسات الرقابة أن تنتظر رأي الرئيس في كل عمل إبداعي للسماح بعرضه، وهذا يعني أن كل القيادات لا تستطيع اتخاذ قرار، والخوف صار من طبائع الأشخاص المتكلمين بمهام سياسية.

ورأي أنه يجب أن تكون هناك حرية لاتخاذ القرار خارج دائرة الرئيس. الحرية هي الضامن الوحيد للتقدم ولا تقدم بدونها. لقد قلت من قبل وما زلت أقول إنه لو كانت هناك حرية في مصر سنة 1967 لما وقعت هزيمة يونيو. ولو كان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر سمح للناس بالتعبير عن آرائها لما جرت الهزيمة وقتها. لو كانت لدينا تعددية في الرأي والفكر ما جرى ما جرى.

## التسلط والانفجار

● **الجديد:** كتبت من قبل أن الدولة التسلطية المتوزعة على الأقطار العربية، والتي تحتكر مصادر القوة والسلطة في المجتمع لصالح الطبقة أو النخبة الحاكمة، تقوم شرعية الحكم فيها على استعمال العنف والإرهاب أكثر من الاعتماد على الشرعية التقليدية. كيف قرأ الخريطة الآن بعد نحو ثمان سنوات على ما يعرف بثورات الربيع العربي؟

● **جابر عصفور:** لا نزال حتى الآن تحت أسر الدولة التسلطية، ولم يحرك

جابر عصفور صاحب حضور دائم في سماء الثقافة العربية كاتباً وناقداً ومُحكماً ورمزاً من رموز النقد الأدبي. هذا اللقاء المطول معه جرى في مكتبه بمؤسسة الأهرام وسط القاهرة. في الحوار معه استعدنا أطروحاته ودلفنا إلى تصورات وأفكار صاخبة تُهيمن على ساحات الثقافة العربية وتطرح نفسها بقوة في ظل سيادة ما كشفه هو من قبل وسعى إلى تفكيكه مُعرِّفا إياه بـ"ثقافة التخلف". تلك التي تُبدل خرائط المجتمعات العربية كل يوم. اختطفنا نحو ساعتين من وقته، لتعيد النباش في قوالب صلدة، حاكمة للإبداع والثقافة، وارتحلنا معه في موضوعات تتراوح ما بين قضايا الفكر الديني واللون الأدبي والرؤى الاجتماعية، وأفكار تتعلق بالإبداع والفكر وأدوارهما المجتمعية وفي التأسيس لمستقبل عربي مختلف. من توصيف عيميق أخذ إلى طرح جديد مُستحدث ينتقل عصفور كمتقف طائر يزور كل شجيرة متذوقاً ثمرها، وتاركا بصماته دون احتراز أو وجل، موقنا أن هدف المثقف أو المبدع هو الانتقال من وهاد الضرورة إلى أفق الحرية المفتوح. يفيض جابر عصفور عذوبة مائعة في الحوار مثلما هو الحال في كتاباته. عذوبة تدفعك إلى الصبر على سكناته ولحظات تأمله بين سؤال وآخر، كأنه يعود بالزمن إلى أزمنة مضت عايش خلالها تطورات وتغيرات جمة شهدها ثقافتنا العربية. وإذا كان فرانكلين بنجامين يقول "إما أن تكتب شيئا يستحق القراءة، أو تفعل شيئا يستحق الكتابة"، فإن ما يقوله ويفعله ويكتبه جابر عصفور يستحق القراءة والاحتفاء، لأن الرجل يمنحك متعة أن تفكك أفكارك السابقة، وتخلع أردية لم تخترها، وتخلق في سماوات واسعة، مُستشعرا متجاوزاً حدود مدارات رُسيت لك سلفا، لبلوغ مساحات ظلت مُحرمة عليك لتفكر وتتدبر وتتأمل في كل شيء. جابر عصفور من مواليد مدينة المحلة، في شمال القاهرة، عام 1944، وتخرج في كلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة القاهرة عام 1965، وحصل على الدكتوراه عام 1973 وعمل أستاذاً للآداب العربي بجامعة وسكنسون ماديسون بالولايات المتحدة، وشغل عدة مناصب هامة بقطاع الثقافة في مصر، كان أبرزها منصب وزير الثقافة، لمرتين سنة 2011 و2014 في ظل ظروف الثورة المصرية التي شهدت استقطابات حادة، وقد أدى تَوَزُّر جابر عصفور في 2011 إلى وقوعه تحت سهام النقد الحاد من قبل جل مثقفي مصر المطالبين بالتغيير. لجابر عصفور مؤلفات عدة، بينها "أنوار العقل"، "زمن الرواية"، و"ثقافة التخلف" وغيرها.

## مصطفى عبيد ومروان مصطفى

● **الجديد:** أنت أحد المهومين بثقافة التخلف، مُتأملا ومؤصلا ومحللا وطارحا لتصورات المواجهة. كيف تُشخص تلك الثقافة بعد صعود السلفية الفكرية وميلاد تنظيمات إسلاموية مرمية بتجاهد ضد الآخر وضد المرأة وضد الحرية؟

● **جابر عصفور:** كل ذلك علامة من علامات ثقافة التخلف، وعندما يتحول الخطاب الديني إلى خطاب إرهابي، وإلى فصل إرهابي، فإن هذا مظهر من مظاهر ثقافة التخلف، وهي ثقافة لا تسع لالحوار ولا تعباً بالاختلاف، ومن يؤمن بها يؤمن أنه يمتلك وحده الحقيقة، وغيره على ضلال وعلى باطل، ومن ثم كافي، يجب القضاء على وجوده. وللأسف نحن نعيش مرحلة تراجيدية من مراحل ثقافة التخلف، ويمكن قراءة آثارها حولنا، فعلى مستوى السياسة تغيب الديمقراطية ويختف دور الدولة المدنية، وعلى المستوى الاجتماعي تغيب العدالة ويزداد الفجور، وعلى المستوى الديني يتسرع خطاب نقلي تقليدي يرفض أي طرح عقلي وتقف المؤسسات الدينية نفسها ضد أي رغبة في تجديد الخطاب الديني.

## مسألة المرأة

● **الجديد:** المرأة العربية ضحية لثقافة التخلف. ومازال الميراث الثقافي ينظر إليها باعتبارها ناقصة عقل ودين مستندا إلى روايات ثقافية وتفسيرات مغلوطة. هل ترى مهمة مساعدة المرأة على التخلص من الاستسحاق ضد سنابك ثقافة التخلف مسؤولية الحكومات أم المثقفين؟ وهل هناك نماذج خارجية يُمكن محاكاتها؟

● **جابر عصفور:** قول البعض إن المرأة ناقصة عقل ودين لا يمكن نسبته للنبي محمد "ص". هذا كلام مكذوب، وضعته ثقافة معينة للتحقير من شأن المرأة على مدى عصور العرب. ولا يصح ولا ينبغي أبدا ونحن في عصر يحترم المرأة وفي عالم يقدرها ويفتح لها الأبواب للعمل السياسي والتفنيدي أن نكرر مثل هذا الحديث، حتى وإن وجد في صحيح البخاري. هذا لا يليق بنا. أما مهمة مساندة المرأة فهي مسؤولية الجميع: الحكومات، والنخب، والمثقفين وكل فئات المجتمع.

في تصوري لسنا في حاجة لتجربة دولية أو غربية لمحاكاتها لدعم المرأة أو مواجهة ثقافة التخلف. علينا أن نعود إلى جذورنا الثقافية ونفكر فيها. فنحن في القرآن الكريم اهتمام بالعقل وأول آيات

